المرء إذا لم يتمه فى مثل لمح البصر .. إذهبى ونامى يا حبيبتى واحلمى «بالصينى» فان له لدخلاً فى الأمر وعلاقة بالسر »

قالت : « صحيح ؟ . »

قلت : « طبعاً .. لقد عرفت ذلك منذ دقيقة واحدة »

قالت : « ألا تخبرنى من القاتل ؟ ؟ إنى أكاد أجن ولا أستطيع أن أنام حتى أعرف هذا ، فكن لطيفاً واخبرنى »

قلت : « حتى تكونى أنت لطيفة »

قالت : « ما ذا تطلب قل وخذ وهات الرواية »

قلت : «الرواية كلها ؟؟ لا !. إن ثمنها غال جداً ... على أنى بعد التفكير العميق أرى أن المساومة لا تليق ولهذا أرفض كل ما تعرضينه كائناً ما كان »

قالت برقة : « ترفض أن تعلم أنى . . . أنى . . . أنى . . . أحبك ؟ » (بصوت خافت)

فانتفضت واقفاً وصحت « إيه ؟ »

قالت : « لا تصح هكذا . . »

ووضعت فمها فى ثقب المفتاح وهمست : « يا عبيط . . إنى أحبك .. هل تفهم ؟ . وأنوى أن أتزوجك على رغم أنفك ؟ . . فتضع لهذه المنافسة السخيفة حداً ونستطيع حينئذ أن نقرأ الروايات البوليسية كلها معاً .. تقرأ لى فأسمع .. وأقرأ لك فتسمع »

فاعترضت وقلت : « ولكنى قد أحب أن أسرع وأقلب بضع صفحات ليطمئن قلبى ، ولا تحبين أنت ذلك فيقع الخلاف »

قالت : « كلا .. على كل حال .. سأكون واثقة أن الرواية باقية فى البيت فأنا أتعهد لك أن أقدمك على نفسى وأتركك تسرع أو تبطئ كما تحب .. وحسبى أن تترك لى فتات المائدة »

فأثر فى نفسى هذا الاخلاص والايثار .. وأى إيثار أعظم ، وأى تضحية أكبر ، من أن تتركنى أقرأ — أو أتم — رواية بوليسية قبلها ؟ ؟ هذا اخلاص وإيثار لم يسمع — أو على الأقل لم أسمع أنا — بمثلهما . فلا عجب إذا كنت قد فتحت الباب بسرعة وفتحت مع الباب ذراعىّ لها فدخلت فى ذراعى قبل أن تدخل من الباب

وكان لا بد أن أجزيها إخلاصاً باخلاص ، وإيثاراً بإيثار ، فدفعت إليها الرواية وقلت : « إقرئيها قبلى يا نور العين »

ابراهيم عبد القادر المازنى

صور سياحية

٣ ـ معاهد باريس

الحى الجامعى والمدينة الجامعية ومعجم باريس

بقلم سائح متجول

لا ريب أن ما تتمتع به فرنسا وباريس فى مصر من حب وتقدير يرجع قبل كل شىء إلى غرسها العلمى والثقافى ؛ وإذا كان هذا الغرس يذبل اليوم ويتضاءل لأن عوامل كثيرة جديدة دخلت فى الثقافة المصرية الحديثة ، فان الثقافة والآداب الفرنسية ما زالت تحتفظ فى مصر بكثير من جاذبيتها وسحرها

لقد تلقى كثير من المصريين علومهم بفرنسا ، وما زالوا لثقافتها رسلاً مخلصين

بيد أنه من حسن الطالع أن هذا الجيل المتعصب لثقافته الأجنبية يضمحل اليوم ؛ ذلك أن مصر يجب ألا تكون ميداناً بعد لنضال الثقافات الغربية التى تبغى دائماً من بسط نفوذها العلمى والثقافى أغراضاً خاصة ، ويجب أن تسير مصر فى تكوين ثقافتها القومية على مبدأ الاختيار الحر بعيداً عن دعاية أولئك الرسل المتعصبين

إن فرنسا تتمتع منذ الأحقاب بسمعة جامعية وعلمية راسخة ، وما زالت باريس بجامعتها الشهيرة كعبة الطلاب من سائر الأنحاء والأمم ، وما زال حيها الجامعى أو الحى اللاتينى على تقشف مظهره من أشهر أحيائها وأجدرها بالحب والعطف ، وأغناها بالذكريات

ففى الحى اللاتينى يتفتح الذكاء الفرنسى ، وفيه تشع العبقرية الفرنسية ، وفيه ينهل ألوف من الشباب الأجنبى مورد الثقافة الرفيعة ، ويلمسون كثيراً من نعم النظم الديموقراطية التى تسود أفق الحياة العامة فى فرنسا

وفدنا على باريس فى صميم الصيف والحياة الجامعية معطلة ، فلم يتح لنا أن نرى شيئاً من مظاهر نشاطها ، ولكننا مع ذلك طفنا بأرجاء الحى الجامعى مراراً ولمحنا آثار الصبغة الجامعية تطبع الحى فى معالمه ، وفى فنادقه ومقاهيه ، ومظاهر حياته المتواضعة

يشغل الحى الجامعى ركناً من أقدم أركان باريس وأكثرها

تواضعاً ، كما يشغل حينا الأزهرى أقدم أركان القاهرة وأكثرها تواضعاً ؛ وقوام الحى الجامعى شارع سان ميشيل : فى ضفته اليسرى يقع ميدان السوربون . وشارع سوفلو ، وفيما بينهما وبين شارع سان جاك تقع السوربون والكليات المختلفة الملحقة بها فيما بين دروب وشعاب ضيقة قاتمة ؛ وفيما بينهما أيضاً تقع عدة من المعاهد العلمية القديمة مثل كلية «لوى الأكبر» ؛ ومن الحق أن يقال إن هذه المجموعة القديمة من المبانى القاتمة لا تتفق فى مظاهرها المادية المتواضعة مع ما لها من سمعة جامعية مؤثلة ؛ بيد أن هذا الحرص على القديم ربما كان فى ذاته مثاراً للاجلال والاعجاب بهذه المعاهد التالدة التى يرجع بعضها الى نحو سبعمائة عام ، فنحن نعرف أن معهد السوربون أسس فى منتصف القرن الثالث عشر ، فى عهد لويس التاسع ، وكان فى الأصل معهداً لتدريس العلوم الدينية ، وأن تنظيم الكليات الجديدة فى السوربون يرجع إلى عصر نابليون ، أى إلى نحو قرن وربع

وحى سان ميشيل الذى يضم هذا الحشد الجامعى ، كما قلنا حى متواضع بيد أنه حى عامر ضخم ، ويمتد بولفار سان ميشيل من أحد طرفيه الى مونبارناس ، وشارع « البور رويال » وما زال يخترقه الى اليوم خط الترام بعد أن ألغيت خطوطه من معظم الشوارع الكبرى ؛ ويتصل من الناحية الأخرى بشارع فوجيرار على مقربة من الأوديون وحديقة اللوكسومبور التى تبث نسيمها الصبوح الى الأحياء المجاورة ، والتى يهرع اليها جمهور الطلبة والشعب يتفيأون ظلالها ورياضها ؛ وفى سان ميشيل والشوارع المتفرعة منه عدة من الفنادق الرخيصة التى تنم عن تواضع روادها ؛ وهنالك أيضا طائفة من المكتبات التى تتاجر فى الكتب المستعملة ؛ وإنك لتلمس على الجملة فى كل ناحية من أنحاء سان ميشيل وما اليه ما يدل على صفة الحى المتواضعة النبيلة معاً

* * *

ولا بد لنا بهذه المناسبة أن نذكر كلمة عن المدينة الجامعية Cité Universitaire التى تربطها بالحى اللاتينى أوثق الروابط ؛ والتى لا يعرفها كثيرون من المصريين الذين درسوا فى فرنسا لأنها أنشئت منذ أعوام قلائل فقط

تقع المدينة الجامعية فى ظاهر باريس من جهة الشمال الشرقى فى شارع جوردان Jourdain فى بسيط أخضر من الحدائق والحقول النضرة ؛ وقد كان من حظى أن زرت المدينة الجامعية وطفت بأنحائها برفقة مدموازيل ليجران ، وهى آنسة رفيعة الثقافة تتولى منصبا فى إدارة المدينة الجامعية نفسها ، وهى التى تفضلت بالشرح والتعريف لكل ما سألت وشاهدت

كان أول من فكر فى هذا المشروع الجليل عضو من أعضاء مجلس الشيوخ غاب عنى اسمه ، قدعا اليه فى المجلس وفى الصحافة ، ولم يلبث أن صادف نجاح التحقيق ؛ وكان المثرى الأمريكى روكفلر أول من اهتم بأمره ونفحه بهبة مالية حسنة ساعدت على تحقيقه

وتنقسم المدينة الجامعية إلى قسمين : القسم العام ويشمل الأبهاء والمرافق العامة وإدارة المدينة الجامعية نفسها ، وهذا القسم هو روح المدينة وهيكلها الحقيق ؛ والقسم الخاص ، وهو الذى يضم دور الطلبة لمختلف البلدان ، وهو خاص بسكنى الطلبة ؛ وفى القسم الأول حديقة بديعة وعدة أبهاء كبيرة للمطالعة والكتابة والجلوس قد أثثت جميعها ببساطة واتقان معاً ؛ وهنالك مطعمان كبيران قد صفت فيهما موائد بسيطة نظيفة ، وكذلك مقهيان كبيران ؛ وفى وسع الطلبة أن يجلسوا للمذاكرة أو الكتابة أو السمر فى هذه الأبهاء الشاسعة النيرة ، وأن يتناولوا الطعام أو القهوة أو الشاى أو غيرها فى تلك المطاعم أو المقاهى النظيفة بأثمان زهيدة جداً تناسب أحوالهم وماليتهم ؛ ووجبة الطعام الحسنة تكلف الطالب من ٣ إلى ٥ فرنكات ، وثمن المشروب فرنك أو نصفه ، وهذه أثمان لا تحلم بها فى مطاعم المدينة ومقاهيها ؛ وهنالك حمامات وملاعب ومسرح يقوم الطلبة بالتمثيل فيه أو تمثل فيه الفرق التى تدعوها إدارة المدينة لتسلية الطلبة ، وهنالك فى الطابق الأرضى مكتبة بدىء بتأثيثها وإعدادها لتغذى الطلبة وتعاونهم على المذاكرة والبحث : هذه هى محتويات القسم العام للمدينة الجامعية شرحناها بايجاز ؛ وإنك لتشعر أثناء الطواف بهذه الأبهاء والغرف الشاسعة التى تشرف على الحدائق والحقول النضرة ، إنها أبدع ملاذ يمكن أن يأوى إليه الطالب فى أوقات المذاكرة والفراغ معاً ، بعيداً عن صخب المدينة وضجيجها ، وإنك لتأنس شعوراً من الغبطة والاعجاب بما هيئ للشباب من وسائل الراحة والمتاع البرىء

وأما القسم الخاص من المدينة الجامعيـة فيحتوى على عدة دور كبيرة أنشئت إلى جانبي القسم العام عن يمينه وعن يساره على طول شارع جوردان ؛ لكل دولة دارها ؛ فهنالك دور لانكلترا وأمريكا واليابان وفرنسا وهولنده وبلجيكا وكندا وغيرها ؛ وتخصص هذه الدور القومية التي تتولى الدول المختلفة تشييدها على أرض تمنح لها ، لسكنى طلبة هـذه الدول ، فدار انكلترا خاصة بالطلبة الانكليز ، ودار أمريكا بالطلبة الأمريكيين ، وهولنده بالهولنديين ، وهكذا ؛ وأبدع الدور وأعظمها هي دار الولايات المتحدة ؛ وهنالك دار صغيرة ولكن أنيقة لليابان ؛ وقد أعدت هذه الدور لتكون فنادق للطلبة وجهزت بوسائل الراحة والنظافة ، وأثثت ببساطة واتقان ؛ ويستطيع الطالب أن يجد سكناً في دار البلد الذي ينتمي إليه بأجر شهري قدره مائة فرنك ؛ ويستطيع أن يجد غرفة خاصة حسنة الأثاث بأجر شهري قدره مائتا فرنك ، وتغص هذه الدور بالطلبة لما لها من مواقع جذابة تغمرها الشمس والضوء والهواء ، ولما للسكن فيها من المزايا المريحة

ولقد وددنا أن نرى في المدينة الجامعية بين هذه الدور الأنيقة الضاحكة ، دارا مصرية ! ففي باريس يدرس دائماً عدد كبير من الطلبة المصريين ، وإنها لدعاية حسنة لمصر المستقلة الفتية أن يكون لها دار جامعية في العاصمة الفرنسية إلى جانب دور الأمم الأخرى ، وإنها لنعمة سابغة لطلبتنا أن يكون لهم في باريس دار مصرية يأوون اليها بعيداً عن صخب المدينة ومغرياتها ؛ فهل تفكر وزارة المعارف في هذه المسألة الهامة ، وهل توليها شيئاً من عنايتها وعطفها ؟ إنا لنرجو مخلصين داعين بالتوفيق والتحقيق

* * *

هذا ولا تنس وأنت في باريس أن تزور «المكتبة الوطنية» في شارع ريشليو ، ففي هذا المعهد الثقافي الضخم كنوز زاخرة من الكتب في مختلف العلوم والفنون ؛ وفي المكتبة الوطنية قسم شرقي ضخم ، وقسم خاص بالمخطوطات العربية ، ولكل قسم فهارسه المنظمة ، ومرشدون يفهمون أعمالهم حق الفهم ، وقد لفت نظرنا عند مراجعة فهارس المخطوطات العربية عدة أسماء لمخطوطات نادرة مثل : أحاديث الامامة والسياسة (رقم ١٥٦٦) ، وحسن المسالك لاخبار البرامك (٢١٠٧) وعيون المعارف للقضاعي (١٤٩٠) ، وتراجم الصواعق في وقعة الصناجق (١٨٥٣) ، وتاريخ المهديين والحفصيين (١٨٧٤) ، وتاريخ مصر لابن زولاق (٤٧٢٧) . بيد أننا لم نجد متسعاً من الوقت لبحث هذه المخطوطات لمعرفة حقيقتها ومبلغ أهميتها

وهنالك في باريس صرح لا بد لكل مسلم أن يزوره ، هو مسجد باريس ؛ ويقع المسجد في قاصية باريس ، وفي حي من الأحياء القديمة المتواضعة على شوارع جوفري سانت هيلير ، وجورج دوبلا وديبانتون ، وقد بني على الطراز المغربي ، ويشرف بابه العمومي ومئذنته على شارع ديبانتون ، وفي فنائه حديقة صغيرة حولها أروقة أربعة تفضي إلى أبهاء وأجنحة ومرافق مختلفة ، وفي الجهة اليمنى من الفناء يقع المصلى ، وهو بهو شاسع أنيق ، قد فرش بالبسط النفيسة ، وبه عند القبلة منبر مكسو بالديباج الأخضر من إهداء مليكنا المغفور له فؤاد الأول ؛ ولقد عمتنا في عصر ذات يوم إلى هذا الحرم الاسلامي المقدس الذي يحفه الصمت العميق من سائر نواحيه ، ولم نتمالك أن نجثو خاشعين لله عز وجل ، وأن نؤدي ما تيسر من الصلاة مقتبطين لذكر الله ورسوله في هذا الحرم النائي عن أرض الاسلام

وبالمسجد مكتبة صغيرة ومعهد قيل لنا إنه تلقى به محاضرات اسلامية مختلفة ، ومستشفى صغير لبعض الأمراض الخطيرة ؛ وبه أيضاً حمام عربي ، ومقهى ومطعم عربي ، قد صفت موائده في حديقة داخلية صغيرة تقع في الجهة الشرقية ، وتعزف فيها الموسيقى العربية أحياناً ، ويقوم بهذا العزف بعض الموسيقيين المغاربة . وقد تناولنا القهوة العربية لأول مرة في باريس في هذا المنتدى الأنيق وسمعنا الموسيقى العربية في مجتمع قوامه مسلمون من مختلف الأمم

بيد أن شعور الغبطة الذي قد يأنسه المسلم مدى لحظة لقيام هذا الصرح الاسلامي في باريس لا يلبث أن يمازجه شعور بالمرارة والأسف حين يستعرض المعاني والظروف التي أقيم فيها . إن فرنسا لم تعمل لاقامة هذا المسجد حباً بالمسلمين أو احتراماً لشعائرهم ومشاعرهم ، وإنما أقامته أداة من أدوات التأثير الاستعماري ، وهو في الواقع رمز لسيادتها على الأمم الاسلامية التي تسودها أكثر منه رمزاً للعطف والتقدير

وإلى هنا نقف اليوم ؛ وسنحدثك في الفصل القادم عن الحياة الليلية في باريس ، وعن بعض مظاهر المجتمع الباريزي

(***)